﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [البقرة: 58-59]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهَما:

لـمَّا ذكر اللّه تعالى في الآية السَّابقةِ تظليلَهم بالغمام، وإكرامهم بالمَنِّ والسَّلوى، وهما مِنَ النِّعَمِ الدُّنيويَّةِ؛ أعقبَهُ بذكر مغفرة الذّنوب وزيادةِ أجر المحسنين، وهما مِنَ النِّعَمِ الدِّيْنِيَّة[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿ٱلْقَرْيَةَ﴾: القاف والرَّاء والياءُ، تدلُّ تصاريفُهَا على جمعٍ واجتماعٍ[2]، يقال: قرى الماءَ في الحوضِ، أي: جَمَعَهُ[3]، ويقال لِلْمدينةِ: قريةٌ؛ لاجتماع النَّاس فيها[4].

وللقرية إطلاقات ثلاثة[5]:

أوَّلها: على المكان الذي يجتمع فيه النّاسُ.

ثانيها: عَلَى النَّاسِ المجتمعين في مكان واحد.

ثالثها: على المكان الذي يجتمع فيه النَّاسُ وعلى النَّاسِ معًا.

فدلالة الثَّالث مُركَّبَةٌ مِنَ الأَوَّل والثَّاني.

وتُطْلَقُ القَرْيةُ عَلى البَلْدَةِ الصَّغيرَةِ، وعَلى المَدينَةِ الكَبيرَةِ ذاتِ الأسْوارِ والأبْوابِ كَما أُريدَ بِها هُنا بِدَليلِ قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾.

(1) البقاعِيّ، نظم الدّرر: 1/390-401.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قري).
(3) القاضي عِياض، مشارق الأنوار: (قرى).
(4) النّحّاس، معاني القرآن: 3/57.
(5) الرّاغب، المفردات: (قرى).

والمرادُ بالقرية في الآية: (بيتُ المَقْدس).

2) ﴿سُجَّدًا﴾: السِّينُ والجيمُ والدَّالُ تدُور تصاريفُهَا عَلى الذُّلِّ والتّطامُنِ، أي: الانْخِفَاضِ[1]، يُقال: سَجدتِ الدَّابَّةُ؛ إذا خَفَضَت رأسَها؛ لتُرْكَبَ[2]، ونَخْلَةٌ ساجدةٌ؛ إذا أَمالَها حِمْلُها[3].

والسُّجُودُ يُطْلَقُ بمعنى وضْعِ الجَبْهةِ على الأرضِ[4]، وبمعنى: الانحنَاءِ[5]، ومِنَ الانحناءِ تسميةُ الرُّكوعِ: سُجودًا[6]، وذلك لاشتراكهما في أصل الانحناء، وإن كان السَّاجدُ أشدَّ انحناءً من الرَّاكِعِ[7].

والسُّجَّدُ: جمعُ ساجِدٍ، كالرُّكَّع: جمع راكعٍ، والمرادُ بالسُّجود في قول الله تعالى: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾ الخضوعُ، والمعنى: ادخلوا مُنْحَنِينَ خَاضِعِينَ[8].

3) ﴿حِطَّةٌ﴾: الحاءُ والطَّاءان تدور تصاريفُها على إِنْزَالِ شيءٍ مِن عُلُوٍّ[9]، ومِنْهُ حطُّ الأحمالِ عنِ الدَّوابِّ[10]؛ أي: وَضْعُهَا عن ظهورِهَا إلى الأرضِ، ومِنْهُ: حَطُّ الأوزَارِ[11]؛ بمعنَى: مغفرتِهَا؛ لأنَّ الوِزْرَ يُثْقِلُ العبدَ، فإذا غفرَ الله تعالى للعبدِ ذَنْبَهُ؛ فقد خَفَّفَ عَنْهُ ما كان يجدُهُ ثقيلًا، كالدَّوابِّ التي تُحَطُّ عَنْ ظهورِهَا الأحمالُ.

والحِطَّةُ في قول الله تعالى: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ﴾ أَيْ: قُولُوا: حُطَّ عَنَّا ذُنوبَنا؛ أي: اغفرها[12].

4) ﴿نَّغۡفِرۡ﴾: الغين والفاء والرَّاء تدورُ أكثرُ اشتقاقاتِهَا على معنى: السَّتْرِ، ومنه:

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سجد).
(2) الأنباريّ، الزَّاهر: 1/47.
(3) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (سجد).
(4) ابن سِيده، المخصَّص: 4/57.
(5) ابن القطَّاع، كتاب الأفعال: 2/125.
(6) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (سجد).
(7) ابن جرير، جامع البيان: 2/105.
(8) السُّيوطي والمحلّيّ، تفسير الجلالين، ص: 13، والسّعدي، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 53.
(9) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حط)، والرّاغب، المفردات: (حط).
(10) الخليل، العين: (حط).
(11) الزَّمخشريّ، أساس البلاغة: (حطط).
(12) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 50، وابن الأثير، النِّهاية: (حطط).

الغَفْرُ؛ وهو السَّتْر[1]، وقال الرَّاغب: "الغَفْرُ: إلْبَاسُ ما يَصُونُه عَنِ الدَّنسِ"[2]، وهو راجعٌ إلى معنى السَّتْرِ.

وَالمغفرةُ شرعًا: سَتْرُ الذَّنب والتَّجاوزُ عَنْهُ[3].

5) ﴿خَطَٰيَٰكُمْ﴾: الخاء والطَّاءُ والهمزةُ تدلُّ اشتقاقاتُها على تخطِّي مَوقعِ الشَّيء أو تجاوزِه باندفاعٍ[4]، ومِنْهُ: الخَطَأُ، وهو العدولُ عَنِ الجهة، وهو ثلاثةُ أضربٍ[5]:

الأوَّل: أن يُريدَ أحدٌ غيرَ ما تَحْسُنُ إرَادَتُه، فَيَفْعَلَه، وهذا يُؤاخَذُ به الْإِنْسَانُ، وَيُقَالُ فيه: خَطِئَ يَخْطَأُ، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ [الحاقة: 36-37].

الثَّاني: أن يُريدَ ما يَحْسُنُ فِعْلُهُ، ولكنْ يقَعُ منهُ خلافَ ما يُريدُ، فيقال: أَخْطَأَ يُخْطِئُ، وهذا رُفِعَت المؤاخذةُ به عن أمَّةِ الإسلام، كما قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: 286]، وقد جاء في صحيح مُسْلم أنَّ الله تعالى قال: «قَدْ فَعَلْتُ»[6].

الثَّالث: أن يُريدَ ما لا يَحْسُنُ فِعْلُه، ولكنْ يقعُ مِنْهُ خِلَافُهُ على وجهٍ صوابٍ، فهذا مُخْطِئٌ في إرادته، فيؤاخذُ بِقَصْدِهِ، ولا يثاب على فعله.

والخطايا جمع خطيئة، والمراد بها في قول الله تعالى: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾: الذّنوب العظيمةُ التي يستحقُّ صاحبُها التَّنكيلَ[7].

6) ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: مادَّةُ الحاءِ والسِّين والنّون تدلُّ على ضدِّ القُبْحِ[8]، والمحاسنُ مِنَ الأعمال: ضدُّ المساوئ، ومِنْهُ سُمِّيتِ الجنَّةُ: الحُسْنَى؛ ضدُّ السُّوأَى وهي النَّارُ[9].

والحَسَنُ: كُلُّ مُبْهِجٍ مرغُوبٍ فيه، وَالْحَسَنَةُ يُعَبَّر بهَا عَن كُلّ ما يَسُرُّ مِن نعمةٍ تَنالُ العبدَ في نفسِه أَو بدنِه ونحو ذلكَ- والسَّيِّئَةُ ضدُّهَا[10].

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (غفر).
(2) الرّاغب، المفردات: (غفر).
(3) ابن عثيمين، القول المفيد: 1/85.
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (خطأ).
(5) الرّاغب، المفردات: (خطأ).
(6) رواه مسلم، حديث رقم: (126).
(7) محمّد الأمين الشِّنقيطيّ، العذب النَّمير: 1/114.
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حسن).
(9) الخليل، العين: (حسن).
(10) الرّاغب، المفردات: (حسن).

والإِحْسَانُ: ضدُّ الإِسَاءَةِ[1]، وحدُّ الإحسانِ شرعًا ، كما قال النَّبيُّ ﷺ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ؛ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[2].

وفي معنى (المحسنِين) المذكورين في قول الله تعالى: ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أقوالٌ، أصحُّها: أنَّ (المحسنينَ): هُمُ الذين يعبدُونَ اللهَ تعالى كأنَّهم يَرَوْنَهُ، فهمُ أشدُّ الناسِ مراقبةً للهِ تعالى في أعمالهم[3].

7) ﴿رِجْزًا﴾: الرَّاء والجيمُ والزَّايُ تدور تصاريفُها على ارتعادٍ عندَ النُّهوض أو الحَمْلِ؛ بسببِ الثِّقل العظيم، ومِنْهُ: الرِّجْزُ؛ وهو العذاب المُثْقِلُ المعجِزُ[4]، يقال: ناقةٌ رَجْزَاءُ؛ وهي التِي يرعُدُ فخذُها أو عَجُزُها حين تقوم[5]، أو هي: التي تَقَارَب خَطْوُها واضطرَب؛ لضعفٍ فِيها[6].

والرِّجز في قول الله تعالى: ﴿رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: العذابُ[7].

8) ﴿يَفْسُقُونَ﴾: الفَاءُ والسِّينُ والقَافُ تدورُ تصاريفُها على خُروجٍ عَن مُحيطٍ، كالْكِمَامِ لِلثَّمَرَةِ، والجُحْرِ لِلْفَأْرَةِ[8]، يُقال: فَسَقَت الرُّطَبَةُ؛ إذا خرجت مِنْ قِشْرِها[9].

ويُطلَقُ الفِسْقُ في الشَّرعِ: على الخُرُوجِ عَنِ الطَّاعة[10]؛ فِعْلًا للمنهيِّ عنه أو تَرْكًا للمأمور به، وهو المراد في قوله سبحانه: ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

واذكروا - يابني إسرائيلَ - من نِعَمِنا عليكم حين قلنا لَكُم: ادخلوا بيتَ المَقْدِس، فكلوا ممَّا فيه أكلًا هنيئًا واسعًا غير مضَيَّقٍ عليكم فِيهِ، وكونوا في دخولِكُم له خاضعينَ للّه تعالى، واسألوا الله قائلين: ربَّنا حُطَّ عنَّا ذنوبنا ، نستَجِبْ لكُم، فنتجاوزُ عنكم، ونسترُ

(1) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (حسن).
(2) رواه البخاري، حديث رقم: (50)، ومسلم، حديث رقم: (9).
(3) ابن تيميَّة، الإيمان، ص: 281، ومحمّد الأمين الشِّنقيطيّ، العذب النَّمير: 1/114-115.
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (رجز).
(5) أبو هلال العسكريّ، التَّلخيص في معرفة أسماء الأشياء، ص: 359.
(6) الرّاغب، المفردات: (رجز).
(7) ابن قُتيبة، غريب القرآن، ص: 50.
(8) المُناويّ، التَّوقيف على مهمّات التَّعاريف، ص: 260.
(9) الأنباريّ، الزَّاهر: 1/120.
(10) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فسق).

ذنوبَكُم، وسنزيدُ الذين أحسنوا في أعمالهم خيرًا وثوابًا عاجِلَيْنِ وآجِلَيْنِ جزاءً على إحسانهم.

فبدَّلَ أهلُ الظُّلْمِ مِنْهُم ما أُمروا به مِنَ القول والعمَل؛ فقالوا: (حِنْطَة) بدلًا من (حِطّة)، ودخلوا زاحفين على استاهِهِمْ، فعاقبهم اللّه تعالى بأن أنزل عَلَيهِم مِنَ السّماءِ عذابًا شديدًا؛ بسبب خُرُوجِهم عن طاعة اللّه تعالى واستهزائهم بأمرِهِ سُبحانه[1].

❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِضَمِيرِ الجَمْعِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْنَا﴾:

أَوَامِرُ اللّه تعالى جليلةُ القَدْرِ، جديرَةٌ بالاعتناء

التَّعبيرُ بـ (نَا) الدَّالّةِ على العَظَمةِ في قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ إشعارٌ بتعظيمِ القول وتشريفِهِ والاهتِمَام به، وفي هذا إيماءٌ إلى أهميَّة الأمر المذكورِ بعدُ، وأنَّه جديرٌ بتوجُّهِ العنايَةِ إِلَيْهِ.

دلالة اسْمِ الإِشَارَةِ ﴿هَٰذِهِ﴾:

الأَمْرُ بدُخُول القَرْيَة كان عندَ مُقَارَبَتِهم لَها

اسمُ الإشارةِ ﴿هَٰذِهِ﴾ دالٌّ على القريب الحاضِرِ، وفيه إشارةٌ إلى أنَّهم أُمروا بدخولِهَا عند مقاربَتِهم لها ومعاينتِهم إيَّاهَا[2]؛ ففيه تصويرٌ لحالِ بني إسرَائيل عندَ تلقِّي الخطابِ.

دلالة الْأَمْرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَكُلُوا﴾:

الأمر في قولِ اللّه تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ يُراد به الإباحَةُ والامْتِنَانُ، ويقَوِّيه وجهان:

عِظَمُ مِنّة الله تعالى على بَني إِسْرَائِيلَ

الأوَّل: قوله تعالى: ﴿حَيْثُ شِئْتُمْ﴾، ففيهِ عُمومُ الإباحةِ والإذنِ؛ إذْ إنَّ مشيئَتَهُم غيرُ مُنْحَصِرَةٍ.

والآخَر: قوله تعالى: ﴿رَغَدًا﴾، ففيه الامتنانُ؛ إذ جَعَلَ أَكْلَهُم هنيئًا واسعًا غيرَ مُضَيَّقٍ عليهم فيهِ.

(1) أبو المظفَّر السَّمعانيّ، تفسير القرآن: 1/83-84، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 1/273-279، والسّعدي، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 53، ونخبة من العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 9.

(2) أبو حيَّان، البحر المحيط: 1/357.

تَوْجِيهُ المُتَشَابِهِ اللَّفْظِيِّ:

دِقَّـــة التَّعـبير الـــقـــرآنِيّ في تـقـديـمِ اللَّفظ الأنسَب لِسِيَاقِه

قُدِّمَ الظَّرْفُ ﴿حَيْثُ﴾ – ههنا – على الرَّغَدِ، فقال تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾، وفي قصَّةِ آدمَ عليه السلام المتقدِّمَة قُدِّمَ الرَّغَدُ على الظَّرْفِ، فقال سبحانه: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البقرة: 35]، وذلك أنَّ الرَّغدَ من صفاتِ الأكل أو الآكلِ، فتقديمُهُ في قصَّة آدمَ عليه السلام ظاهرةٌ؛ لأجل أن يكون قريبًا من عاملِهِ من غير فاصلٍ بينَهما، وأمَّا تأخيره ههنا؛ فلأجل التَّناسُبِ الصوتِيِّ بين نِهَايَتَي الجُمْلَتَيْنِ؛ وهما: ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ و﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾[1].

دلالة اللَّامِ في ﴿ٱلْبَابَ﴾:

اللَّامُ في ﴿ٱلْبَابَ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾؛ لِلْعَهْدِ، أي: باب القريةِ التي أُمروا بدخولها؛ وهي بيتُ المقدسِ[2].

ويحتَمِلُ أن تكون اللَّامُ عِوضًا عن مضافٍ إليه، والتَّقدير: وادخلوا بابَهَا، أي: بابَ القريةِ.

دلالة تَنْكِيرِ ﴿حِطَّةٌ﴾:

اسْتِشْعَارِ عِظَمِ الكَرَمِ الإلهِيّ

تَنْكِيرُ ﴿حِطَّةٌ﴾ من قول الله تعالى: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ يُرادُ به التَّعظيمُ[3]، أي: احطُطْ عنَّا خطايانَا حطًّا عظيمًا، وفي دلالة ذلك على التَّعظيم: إيماءٌ إلى عِظَمِ مغفرة الله لذنوب عباده، وبيانٌ لجزيلِ الكرم الإلهيّ في التجاوز عن خطاياهم.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِـ(نَا) الدَّالَّةِ عَلَى العَظَمَةِ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ﴾:

الـلـــهُ ﷻ لَا يَتَعاظَمُهُ ذَنْبٌ أَنْ يَغْفِرَهُ

جاء التَّعبيرُ بـ (نَا) المفيدةِ العظمَةَ في قول الله تعالى: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ﴾؛ لِلْإِيماء إلَى أنَّه سُبحانَهُ لا يتعاظمُه ذنبٌ أن يغفرَهُ، ولو كان

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/357-358.
(2) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 2/132.
(3) البِقاعيّ، نظم الدّرر: 1/394.

شِرْكًا كاتِّخاذ العجلِ إلهًا؛ إذا تابَ صاحبُهُ من ذلك[1]، وفيه إلماحٌ إلى تكرار العفو منه سبحانه، وأنه لا يمل من مغفرة ذنوب عباده مع كثرتها.

تَوْجِيهُ القِرَاءَاتِ: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ﴾، ﴿يُغْفَرْ لَكُمْ﴾، ﴿تُغْفَرْ لَكُمْ﴾:

التَّكَامُلُ الدّلَالِيُّ بَـيْنَ الـقِـرَاءَاتِ القُرْآنِيَّةِ

قُرِئَ هذا الموضعُ من سورة البقرة ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ﴾ بالبناءِ للمفعولِ على خلافٍ في كيفيَّة ذلك، فقرأ نافعٌ وأبو جعفر ﴿يُغْفَرْ لَكُمْ﴾، وقرأ ابن عامر بالتَّاءِ ﴿تُغْفَرْ لَكُمْ﴾، ونكتةُ بناءِ الفعل لِلْمَفعول على الوجهينِ المذكورين: أنَّه "إشارةٌ إلى تحقير الذّنوب إذا أرادَ غُفْرَانها، بحيث إنَّه بأدنى أمرٍ وأدقِّ إشارة يَمْحُوها، وهي أقلُّ من أن يُبَاشِرَها بنفسِه المُقَدَّسة، كلُّ ذلك استعطافٌ إلى التَّوبة"[2].

وهذان الوجهان - ﴿يُغْفَرْ لَكُمْ﴾ و﴿تُغْفَرْ لَكُمْ﴾ - مع وجهِ قراءة الفعل بالبناء لِلْفَاعل - ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ﴾[3]- متوافقانِ؛ فإنَّ الذَّنْبَ قد يُعَظِّمُهُ الشَّرْعُ، وَيَعْظُمُ عند مرتَكِبِهِ، ولكنَّ اللّه تعالى لا يَتَعَاظَمُهُ أن يغفرَ ذلك لمن تابَ إليهِ؛ فإنَّ سَتْرَها ومحوَهَا هيِّنٌ عليهِ سبحانَهُ.

نُكْتَةُ اخْتِيَارِ جَمْعِ الكَثْرَةِ ﴿خَطَٰيَٰكُمْ﴾:

عَـظِـيـمُ إِحْـسَـان الله تعالى بِغَفْرِ الـذُّنـوب؛ وإِن كَثُرَت

جاء التَّعبيرُ بجمع الكثرة ﴿خَطَٰيَٰكُمْ﴾ من قول اللّه تعالى: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾؛ لأنَّ السّياقَ -هَهُنا- جاء لتَعداد النِّعَم؛ فحَسُنَتِ الإشارة إلى أنَّ الذُّنوبَ كثُرَ صدورُها مِنْهُم، حتَّى كأنَّهم جعلوا مقابلَ كلِّ نعمةٍ أنعم اللّه تعالى بها عليهم ذنبًا، وهذا إغراقٌ في العصيانِ، ومع هذا كُلِّهِ فإنَّ اللّه تعالى يغفرُهَا، وهو دالٌّ على عظيم إحسانِهِ سبحانَه عَلَيهِم[4].

(1) البِقاعيّ، نظم الدّرر: 1/395.
(2) البِقاعيّ، نظم الدّرر: 1/395.
(3) وهي قراءة جمهور القرّاء، ينظر ابن الجزري، النشر: 2/215.
(4) البِقاعيّ، نظم الدّرر: 1/396-397.

حَذْفُ المَفْعُولِ الثَّانِي للفِعْلِ (نَزِيدُ):

حُسْنُ جَزَاءِ المُحْسِنِين في الدُّنيا والآخرة

حُذِفَ المفعولُ الثَّاني لِلْفِعْل (نَزِيدُ) من قول الله تعالى: ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، للدّلالة على العموم؛ إذ إنَّ حذف المعمولِ مُؤْذِنٌ به، والتَّقدير: وسنزيدُ المحسنين مِن خَيْرَيِ الدُّنيا والآخرةِ[1].

دلالة اللَّامِ في ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾:

مُجازاةُ المُحسنين جَزيلَ الثَّوابِ عَلَى يَسيرِ العَمَلِ

اللَّام في ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ يحتَمِلُ أن تكونَ لِلْكَمَالِ، أي: هُمُ كَامِلُو الإحسانِ البالغُونَ فِيهِ غايتَهُ.

ويحتمِلُ أن تكونَ موصولَةً، أي: الذين أَحْسَنُوا، فيصدقُ علَى مَنِ اتَّصفَ بمطلقِ صفةِ الإحسانِ؛ ولو لَمْ يبلُغْ هذا الوصفُ عِنْدَهُ الكمالَ، وهذا أليقُ بمقام الامتنانِ وأنسبُ لجودِ الله تعالى وكرَمِهِ بعبادِهِ؛ حيث يُجازيهم على العمل اليسير الثَّوابَ الجزيلَ.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ عَنِ المُخَالَفَةِ بِالتَّبْدِيلِ:

مُخَالَفَةُ المَأْمُورِ بِهِ مَعَ تَبْدِيلِهِ أَشْنَعُ مِنْ مُطْلَقِ المُخَالَفَةِ

سمَّى الله تعالى مخالفةَ الظَّالمينَ الأمرَ: تبديلًا، في قوله سبحانه: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾؛ للإيماء إلى أنَّ المخالِفَ كأنَّهُ أنكرَ ما أُمِرَ به بالكُلِّيَّةِ، وتظاهَرَ ادِّعاءً أنَّه مأمورٌ بغَيْرِه[2].

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِالاسمِ الموصولِ:

تَعْلِيقُ الذَّمِّ على الوصفِ الأعمِّ يستلزِمُ الذمَّ على الوصفِ الأخصِّ بطريقِ الأولَوِيَّةِ

جاء التَّعبير بالاسم الموصول مع صلتِهِ في قوله سبحانه: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ دون (فبدَّل الظالمون)؛ لأنَّ تعليق الذَّمِّ على الوصف الأعمِّ يستلزِمُ الذمَّ على الوصف الأخصِّ بطريق الأولَوِيَّةِ والأحْرَوِيَّةِ؛ وذلك أنَّ ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ يصدقُ بمطلق الظُّلْمِ، بخلاف (الظَّالمين)؛ فإنَّه دالٌّ على ثبوتِ وصفِ الظُّلْمِ لهم وكمالِهِ فيهم، فيكون تعليق الذمِّ على الاسم الموصولِ تعليقًا للذمِّ على الوصف الأعمِّ[3].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/516.
(2) وهبة الزُّحيلِّي، التَّفسير المُنير: 1/168.
(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/117.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِالفِعْلِ المَاضِي فِي الصِّلَةِ:

تَـحَـقُّـق وصـفِ الظُّـلـم في بني إِسْرَائِيل

وقعت الصِّلَةُ فعلًا ماضيًا، فقال سبحانه: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ دون الفعل المضارع (فبدَّلَ الذين يظلمون)؛ لأنَّ الفعل الماضي مُفِيدٌ تحقُّقَ وصفِ الظُّلْمِ فيهم.

دلالة تَنْكِيرِ ﴿قَوْلًا﴾:

تنكيرُ ﴿قَوْلًا﴾ من قول الله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾؛ لإفادة التَّحقيرِ، فهو قولٌ مرذولٌ؛ لكونِه قولًا مخالِفًا لما أمرَهم اللهُ تعالى أن يقولُوهُ.

نُكْتَةُ إِظْهَارِ القَوْلِ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿قَوْلًا﴾:

دَفْـعُ تَـوَهُّـمِ اقْتِضَارِ التَّبْدِيْلِ عَلَى لَفْظِ (حِطَّة)

أُظْهِرَ القولُ في قوله سبحانه: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا﴾، بدلًا من إضماره؛ بأن يَأْتِيَ النَّظْمُ: (فبدَّلوهُ)؛ لدفعِ توهُّم أنَّهم بدَّلوا لفظ (حِطَّة) خاصَّةً، وأنَّ ما عداه ممَّا قيلَ لهم قد امتَثَلُوهُ[1].

بَلَاغَةُ الِاكْتِفَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾:

مَـنْ يُـخَـالِـفِ الـمَـأْمُـورَ بِـهِ مِنَ الْـقَـوْلِ؛ فَـهُـوَ لِمُخَالَفَةِ الفِعْلِ أَحْرَى

في قول الله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ اكتفاءٌ بذِكْرِ تبديل القول عن تبديل الفعل، وإلَّا فإنَّهم بدَّلوا القول والفعل معًا، وتقديرهُ: فبدَّل الَّذين ظلموا قولًا غير الَّذي قيل لهم بقولٍ غيره، وبدَّلوا فعلًا غير الَّذي قيل لهم بفعلٍ غيرِه[2].

وفي هذا الاكتفاءِ نكتتانِ:

إحداهما: الإيماء إلى أنَّ تبديل القولِ وحدَهُ موجِبٌ لهذا العذابِ الشَّديد؛ فكيف الظنُّ بعذابِ مَن بدَّل الفعلَ، وهو أعظَمُ؟[3]

والأخرى: الدّلالة علَى أنَّهم إذا بدَّلوا القولَ، وهو أسهَلُ؛ لعدم المشقَّةِ في امتثالِه؛ فتبديلُهم الفعلَ من بابِ أَوْلَى، وفيه إشارةٌ إلى أنَّه لم يكن عِنْدَهُمْ قابليَّةٌ لِلِامْتِثَالِ.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/516.
(2) محمّد الأمين الشِّنقيطي، العَذب النَّمير: 1/115.
(3) القُشَيريّ، لطائف الإشارات: 1/580، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 1/415.

دلالة التَّعْبِيرِ بِإِنْزَالِ العَذَابِ:

الـجَـزَاءُ مِـنْ جِنْسِ العَمَلِ

عُبِّر عن وقوع العذاب عليهم بإنزاله في قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ تعظيمًا لشأنِه، وأنَّه مما لا قِبَلَ لهم به، وللإشارة إلى أنَّ إيقاع العذاب عليهم ملائمٌ لجنس عصيانِهم؛ فإنَّهم أُمروا بشيئين: الدُّخولِ سُجَّدًا؛ أي: خاضعينَ، وسؤالِهم ربَّهم: حطَّ الخطايا عنهم، فعُوقبوا بإنزال العذابِ عليهم، وملاءمتُهُ لعصيانِهم من وجهين:

أوَّلهما: أنَّهم أُمروا بسؤالِ الله تعالى حطَّ الخطايا، وأصلُ الحطِّ: إنْزَالُ شيءٍ من عُلُوٍّ[1]، فلمَّا لم يمتثِلُوا ذلك؛ استحقُّوا أن يُنْزَلَ عليهم العذابُ إنزالًا، فكانت عقوبتُهُم من جنسِ عصيانِهم: إنزالٌ بإنزالٍ.

مِـنْ أَنْـوَاعِ الـعُـقُـوبَـةِ الـمُـعَـامَـلَـةُ بِنَقِيضِ القَصْدِ

والآخر: أنَّهم أمروا بالدخول خاضعين؛ فترفَّعوا واسْتَعْلَوْا، فأنزلَ الله تعالى عليهم العذَابَ؛ عقابًا لهم بنقيضِ قصدِهم؛ فإنَّ العادةَ جاريَةٌ بأنَّ النَّازِلَ -إذا كان قويًّا شديدًا- على أحدٍ مَا، من فوقُ؛ دكَّهُ، فسوَّاهُ بالأرض ، أو أَدْغَمَهُ فيها.

وفيه أيضًا أنَّ الله تعالى أمرهم بالخضوع طوعًا، فلم يفعلوا، فَأَخْضَعَهُم اللهُ تعالى قهرًا.

ففي كلا الوجهين مناسَبَةٌ تخصُّهُ.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِضَمِيرِ الْجَمْعِ:

عَظَمَةُ العذَابِ الصَّادر مِنَ الله العظِيم

في إسناد فعل الإنزال إلى (نَا) المفيدَةِ العظمَةَ[2] في قول الله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا﴾؛ إيماءٌ إلى عَظَمَةِ المُنْزِلِ؛ وهو الله ﷻ، وعَظَمَةِ المُنْزَلِ؛ وهو العذابُ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حط)، والرّاغب، المفردات: (حط).
(2) محمّد الأمين الشّنقيطيّ، العذب النَّمير: 1/88.

ويُقوِّيه تنكيرُ كلمة ﴿رِجْزًا﴾ من قول الله سبحانه: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾؛ فإنَّ تنكيرَهَا يُرادُ به التَّهويلُ والتَّفخيمُ[1].

سِرُّ الإِظْهَارِ فِي مَوْضِعِ الإِضْمَارِ:

الـظُّـلْـمُ مِـن مُوجِبَات حلُولِ العذَاب

في قول الله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ إظهارٌ في محلِّ الإضمار؛ إذْ مُقتضى الظَّاهر: (فأنزلنا عليهم رِجْزًا)؛ لتقدُّم ذكر ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ بالاسم الظَّاهر في صدر الآيةِ عندَ قول الله سبحانه: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾، ولذلك ثلاثُ نكَاتٍ[2]:

إحداهما: تسجيلُ موجِبِ العذابِ عليهم؛ فالرِّجْزُ المُنَزَّلُ عليهم إنَّما هو بسببِ الظُّلْم.

ثانيهما: المبالغةُ في تقبيحِ أمرهم وتعظيمِه.

ثالثها: لئلَّا يُتَوَهَّم أنَّ الرِّجْزَ عَمَّ جَميعَ بني إسرائيلَ.

فَائِدَةُ ذِكْرِ ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾:

عذَابُ اللهِ تعالى لَيْسَ لَهُ دافِعٌ

لـمَّا ذكر الله تعالى الإنزالَ في قوله: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾، وكان ذلك مُفْهِمًا جهةَ العُلُوِّ؛ حقَّقَهُ تعظيمًا وتفخيمًا[3]؛ فقال سبحانه: ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

وَلِأَنَّ العذابَ نَوْعَانِ:

أحدهما: ما يُمكِنُ دفعُهُ، أوْ يُظَنُّ إمكانُ دفعه؛ كَالْعَذَابِ الوَاقع على يدِ آدميٍّ.

الآخَر: ما لا يُمْكِنُ دفعُهُ؛ كالصَّاعقة والمَوْتِ.

فذكر سبحانه أنَّ هذا العذابَ ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: أنَّهُ منَ الجِنْسِ الذي لا يتأَتَّى دَفْعُهُ؛ تفخيمًا لشأنِه[4].

---

(1) محمد علي جميل، صفوة التَّفاسير: 1/53.

(2) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 3/525، وأبو حيّان، البحر المحيط: 1/363، والآلوسي، روح المعاني: 1/267، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/516، ومحمّد الأمين الشِّنقيطيّ، العذب النَّمير: 1/118.

(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 1/402.

(4) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 1/205.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِالفِعْلِ المُضَارِعِ:

اعتيادُ الفِسْقِ حتَّى صارَ طَبْعًا

مجيءُ الفعل مضارعًا في فاصلةِ الآية ﴿يَفْسُقُونَ﴾ مفيدٌ الاستمرارَ التَّجدُّدِيَّ، ويقوِّيه: ﴿كَانُواْ﴾؛ الدالَّةُ على تحقُّقِهم بالفِعل وثبوتِه لهم واستمرارِهم عليه.

فدلَّ مجموعُ ذلك على استمرارهم في فِسقهم، ودوامهم عَلَيهِ، وتجدُّدِهِ فِيهِم، حتَّى صار الفسْقُ مِنْ جملةِ طبَاعِهِم.

تَوْجِيهُ المُتَشَابِهِ بَيْنَ أَلْفَاظِ هَذِهِ القِصَّةِ فِي سُورَتَيِ البَقَرَةِ وَالأَعْرَافِ:

دِقَّةُ اخْتِيَارِ المُفْرَدَاتِ واشْتِقَاقَاتِها بِما يُنَاسِب سِيَاقَها

وردت قصة أمر بني إسرائيل بدخول القرية في موضعين من سور القرآن الكريم بألفاظ متقاربة: أما الموضع الأول؛ فهو الذي بين أيدينا من سورة البقرة حيث قال الله ﷻ: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾. وأما الموضع الثاني ففي سورة الأعراف حيث قال الله ﷻ: ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأعراف: 161-162].

وعند التدقيق يظهر اختلاف بين ألفاظ القصة في السورتين، وذلك من أحدَ عشرَ وجهًا؛ هي[1]:

أوَّلًا: في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾، وفي سورة الأعراف: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ﴾؛ فصُرِّحَ في آية البقرة بالقائلِ، وهو الله تعالى؛ بإسنادِ القولِ إلى ضمير العظمَةِ الرَّاجِعِ إليه سُبحانه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾؛ إزالةً

(1) البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص: 74-72، والزَّازي، مفاتيح الغيب: 3/526-527، وفاضل السَّامرَّائي، التَّعبير القرآنيّ، ص: 380-365، وسعد عبد العظيم، استدراك ما فات من بلاغة الآيات المتشابهات، ص: 108.

للإبهام، ولأنَّه أليقُ بسياقِ تَعداد النِّعَم؛ إذ آية البقرة جاءت في سياقِ آياتٍ، عَدَّدَ الله تعالى فيها نِعَمَهُ نعمةً نعمةً، وصدَّرها بقوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: 40]، إضافة إلى أن الآيات من أول السورة جاءت بالتصريح بالفاعل بضمير العظمة؛ نحو: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ [البقرة: 34] و﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة: 35] و﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ﴾ [البقرة: 38].

أمَّا آية الأعراف؛ فجاءت في سياق تعداد قبائحهم؛ فكان ذلك سببًا للإعراضِ عَنْهُم، فناسبَهُ بناءُ الفعل للمفعولِ؛ لأنَّهم لا يستحقُّون التَّشريفَ، وأورَدَ ﴿لَهُمۡ﴾ فيها؛ نكايةً في تبكِيتِهم.

ثانيًا: في سورة البقرة: ﴿ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾، وفي سورة الأعراف: ﴿ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾؛ أما آية البقرة؛ فجاء فيها الأمر بالدّخول مقرونًا مع الأمر بالأكل والتطمين برغد العيش، والأكل ورغد العيش إيماءٌ إلى تحقُّق المقصود من السُّكنى بالاستقرار وراحة البال. وأمَّا آية الأعراف؛ فجاء فيها الأمر بالسُّكنى مع الأكل دون الإشارة إلى الرغد؛ لأنَّه متحقَّق من السُّكنى، إذ السُّكنى تعدل الدُّخول والرّغد، فالتّعبير في الآيتين متساوي الأطراف، وأُدمج في الأعراف الدخول والرغد، وعبِّر عنه بالسكنى.

ثالثًا: في سورة البقرة: ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا﴾، وفي سورة الأعراف: ﴿وَكُلُواْ مِنۡهَا﴾؛ لأنَّ الأوَّلَ وردَ عقبَ الأمر بالدّخولِ؛ وهو سَريع الانْقِضَاء، فيَتْبَعه الأكلُ، بخلاف ما في الأعراف؛ فإنَّه واردٌ عقبَ الأمر بالسُّكْنَى، وهي الإقامَةُ؛ وذلك مُمْتَدٌّ زَمَنُهُ.

والإتيانُ بالفاء الدَّالَّةِ على التَّعقيبِ في سورة البقرةِ أَدْخَلُ في الإكرام، وهو مناسِبٌ لسياقِ الآياتِ فيها؛ إذْ هي واردةٌ في تَعدادِ النِّعَم، بخلاف ما في الأعرافِ؛ فالآيات في تَعداد قبائحِهِمْ.

رابعًا: في سورة البقرة: ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا﴾، وفي سورة الأعراف: ﴿وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ﴾؛ فلم يُذكر فيها الرَّغَدُ؛ لأنَّ سياقَ سورةِ البقرة في تعدادِ النِّعَم، وذِكْرُ ﴿رَغَدٗا﴾ مناسبٌ له؛ لأنَّ كونَ الأكلِ واسعًا هنيئًا غيرَ مضيَّقٍ عليهم فيهِ من جملة المِنَن، بخلاف ما في الأعراف؛ فإنَّ المقام مقامُ تقريعٍ وتأنيبٍ، فلم يكن ذِكر الرَّغَدِ مناسبًا معه.

ولأنَّ آيةَ سورة البقرة مُصدَّرةٌ بقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾، بلفظ التَّعظيم، فناسَبَ ذلك ذِكْرَ الرَّغَدِ؛ لأنَّ عطاء العظيمِ عظيمٌ، بخلاف ما في الأعراف؛ فإنَّ الآية مصدَّرة بقوله: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ﴾.

خامسًا: في سورة البقرة: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾، وفي سورة الأعراف: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔتِكُمْ﴾؛ فالأوَّلُ -وهو الخطايا- جمعُ كثرةٍ، والثَّاني -وهو الخطيئَات- جمع قلَّةٍ، ووجه المغايرة بينهما: أنَّ الله تعالى لمَّا أضاف القولَ إلى نفسِه العليَّةِ؛ فقال ﷻ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾؛ قرَنَهُ بما يدلُّ على جودِهِ وكرمِه، وهو مغفرة الذّنوب الكثيرةِ، بخلاف ما في الأعراف؛ فإنَّه لم يُضِفِ القولَ إلى نفسِه، وإنَّما قال: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ﴾، فلمَّا لم يُسمِّ الفاعِلَ؛ لم يَذْكُر اللَّفظَ الدّالَّ على الكثرةِ.

ولأنَّ سياق آيات البقرةِ في تَعداد النِّعَمِ، ولا جرَمَ أنَّ مغفرة الذّنوب الكثيرة أدخَلُ في بيان الإنعام والامتنان.

سادسًا: في سورة البقرة: ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾، وفي سورة الأعراف: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾، فقُدِّمَ السّجود على القول في سورة البقرة؛ وذلك لثلاثة أوجهٍ:

أحدها: أنَّ السّجودَ أشرفُ من مطلَقِ القول؛ فكان تقديمُ الأشرفِ أنسبَ لمقام التَّكريم.

ثانيها: أنَّ تقديم السُّجودِ في البقرة أنسبُ لسياقِ آياتِهَا؛ لأنَّ القصَّةَ وردت بعدَ الأمر بإقامةِ الصَّلاة، كما قال الله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة: 43]، و﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: 45].

ثالثها: أنَّ الواردَ في سورةِ البقرة الأمرُ بالدُّخولِ، فكان تقديم السُّجودِ أنسبَ؛ لكونِهِ مذكورًا لبيانِ كيفيّة الدّخولِ، بخلاف ما في الأعراف؛ فإنَّ المأمور به هو السُّكْنَى لا مجرَّد الدُّخول.

سابعًا: في سورة البقرة: ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، وفي سورة الأعراف: ﴿سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 161]، وزيادةُ الواو في البقرة دالٌّ على الاهتمامِ والتَّنْويع، وهو مناسبٌ لسياقِ الامتنانِ، بعكسِ ما في الأعراف.

ثامنًا: في سورة البقرة: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا﴾، وفي سورة الأعراف: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ قَوۡلًا﴾ [الأعراف: 162] - بزيادة: ﴿مِّنۡهُمۡ﴾ - لأنَّ أوَّلَ قصَّةِ الأعراف مبنيَّةٌ على التَّخصيص بلفظ (مِنْ)، فإنَّ الله تعالى قال: ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأعراف: 159]، فلمَّا انتهتِ القصَّةُ قال الله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ قَوۡلًا﴾ [الأعراف: 162]، فذكر ﴿مِّنۡهُمۡ﴾ في آخر القصَّة كما ذكرها في أوَّلِهَا؛ ليكون مقطَعُ الكلام موافقًا لمطلَعِهِ، بخلاف ما في سورة البقرة؛ فإنَّه لم يُذكر في الآيات قبل قوله: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ تخصيصٌ وتمييزٌ حتَّى يحسُنَ ذكره في آخر القصّة.

وثَمَّ وجهٌ آخرُ؛ وهو أنَّ ذِكْر ﴿مِّنۡهُمۡ﴾ في سورة الأعراف تصريحٌ بأنَّ الظَّالمين كانوا من بني إسرائيلَ، بخلاف سورة البقرةِ؛ فلم يُصرِّحْ بكونهِم مِنْهُم تكريمًا لَهُم؛ لأنَّ ذلك أنسبُ لسياقها.

تاسعًا: في سورة البقرة: ﴿فَأَنزَلۡنَا﴾، وفي سورة الأعراف: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا﴾ [الأعراف: 162]، وفي ذلك نُكْتَتَانِ:

الأُولَى: أنَّ الإرسالَ أشدُّ في العقوبةِ مِنَ الإنزال، ولمَّا كان سياقُ آية البقرةِ لتَعداد النِّعَم؛ ذُكِرَتِ العقوبةُ الأخَفُّ، بخلاف سياق آية الأعراف؛ فهو لتَعداد قبائحهم، فكان الأنسبُ ذكرَ العقوبةِ الأشدِّ.

ولأنَّ مشتقَّاتِ الإرسالِ كَثُرَتْ في سورة الأعراف، فجاء ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِجۡزٗا﴾ [الأعراف: 162] موافقًا لما قبلَهُ، وليس الأمر كذلك في سورة البقرة.

عاشرًا: في سورة البقرة: ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾، وفي سورة الأعراف: ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ [الأعراف: 162]؛ والثَّاني أَعَمُّ من الأولِ، وذلك يقتضِي أنَّ العقوبةَ أعمُّ وأشمَلُ من الأوَّلِ؛ وهو الأنسبُ لمقام التَّقريعِ.

حَادِيَ عَشَر: في سورة البقرة: ﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾، وفي سورة الأعراف: ﴿بِمَا كَانُواْ يَظۡلِمُونَ﴾ [الأعراف: 162]، وفي ذلك نُكْتَتَانِ:

الأولى: أنَّ الظُّلْمَ أشدُّ مِن الفسقِ، فكان أنسبَ لذكر إرسال العذاب ﴿فَأَرۡسَلۡنَا﴾.

الأخرى: أن آية البقرة ذكرت موجِبَ حلولِ العذاب من الظّلم: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾،

وأكَّدته بالإظهار في مقام الإضمار: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾، فكان الختم بالفسق من باب ذكرِ بداياتِ الظُّلم، فالفسقُ بريدُ الظُّلم، فنبَّه في كلِّ سورةٍ ما يلائمُها.

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

سُجَّدٌ وَسُجُودٌ[1]:

أنَّ جمعَ (ساجدٍ) على (سُجَّدٍ) مُشْعِرٌ بالحركةِ الظَّاهرةِ التي تُدركُها العينُ؛ لأنَّ هذا الجمع (فُعَّل) يدلُّ على الحركة الظَّاهرة، ويدلُّ أيضًا على تكثير القيام بالفعل، ودلالتُهُ على الحركة الظَّاهرةِ أبرزُ، بخلافِ (السُّجودِ)؛ فإنَّهُ يُطْلَقُ على المصدر، ويُطلق جمعًا لـ (ساجدٍ)، ويدلُّ هذا الجمعُ على السُّجود الظَّاهر والباطنِ، ولذا قال ابنُ القيِّم: "السُّجودُ في الأَصْلِ مصدرٌ، كالخشوع والخضوع، وهو يتناول السُّجود الظاهر والباطن و(السُّجَّد) في جمع (ساجد) لم يتناول إلَّا المعنى الظَّاهر، وكذلك الرُّكَّع، ألا تراه يقول: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح: 29]، وهذه رؤية العين، وهي لا تتعلَّق إلَّا بالظَّاهر"[2].

فالسُّجَّدُ دالٌّ على مجرَّد الحركةِ الظَّاهرةِ، وقد ورد لفظ (السُّجَّد) في القرآن الكريم في أحدَ عشرَ موضعًا، كلُّها تدلُّ على هذا المعنى، نحو قوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: 58].

أمَّا (السّجود)؛ فقد ورد في ستَّةِ مواضعَ، منها موضعان، يُرادُ بهما جمع (ساجدٍ)، وهما قول اللّه تعالى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: 125]، وقوله سبحانه: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج: 26]، والمقصود: السُّجودُ الكاملُ الجامع بين الظَّاهر والباطنِ؛ لأنَّه هو المناسبُ لمعنَى التَّطهير.

(1) فاضل السَّامرائّي، معاني الأبنية، ص: 135-133.
(2) ابن القيّم، بدائع الفوائد: 1/66.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأول، من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة [إشراف مجمع القرآن الكريم،
قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 1 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-52-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 1 : من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-52-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9609262 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»